رسالة في إصلاح الدولة العثمانية

في القرن السابع عشر

الشيخ حسن كافي الاقحصاري

ورسالته « أصول الحكم في نظام العالم »

دراسة وتحقيق

عمر ناقيتشفيتش

الشيخ حسن كافي الأقحصاري من علماء البوسنة(1) ومفكريها الذين تأثروا بالعلوم العربية الاسلامية ، ومن الذين قاموا بنشرها في المناطق التي كانت في القرنين السادس عشر والسابع عشر تحت سلطة الإمبراطورية العثمانية . إنه ليس مجهولا تماماً للعالم الاسلامي ، وكذلك بالنسبة للعالم الأوروبي ، ولكنه بقي مغموراً إلى حد ما كما حدث مع الكثيرين من علماء بلاده .

---

١ — أن أراضي البوسنة والهرسك واسعة وتقع في الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان وسط يوغوسلافيا الحالية ، وسميت باسم نهر يجري فيها وتحد الآن من الجانب الشمالي بنهر (صافا) ومن الجانب الشرقي بنهر (درينا) ومن الجانب الغربي بمنطقة (دالماتيا) ومن الجانب الشرقي الجنوبي (بالجبل الأسود) وإذا أطلق اسم البوسنة فقد يشمل على الهرسك أيضا . وأكثر اراضيها جبلية والسهول فيها قليلة وأنهارهـــا كثيرة جدا تتفجر في كل جهة من جهاتها عيون الماء العذب وزرعها بالامطار وفيها فواكه كثيرة متنوعة لذيذة وهواؤها حسن جدا للصحة صيفا وشتاء ولكن إذا حل الشتاء تغطت الأرض بغطاء من الثلوج ، وهي الآن أحدي الجمهوريات اليوغوسلافية وعاصمتها (سراييفو) ويسميها الأتراك في الوثائق (بوسنه سراى أو سراى بوسنه) راجع الخانجي ص ٩ من الجوهر الأسنى .

حياة الاقحصاري :

ولد الشيخ حسن كافي في البوسنة سنة ٩٥١ هـ/١٥٤٤م في بلدة أقحصار - يعني الدار البيضاء - وأهل تلك البلاد يسمونها بـ (بروساتس)(١) وأجداده لم يكونوا أصلا من البوسنة بل جاءوا من ألبانيا من إحدى قرى الاسكندرية الرومية(٢) واستوطن جد جده يعقوب قبل مجيء الأتراك إلى البوسنة قرية من قرى قضاء أقحصار (بروساتس) اسمها ذئب ، ولا يعرف سبب مجيئه إلى الوطن الجديد ، هل كان ذلك لميوله إلى المذهب الباتاريني المنحرف من المسيحية حيث أجبر على الفرار من الصليبيين والتجأ إلى البوسنة ، أوجاء كراعي أغنام يبحث عن المرعى .

ولما بلغ حسن كافي سن التعليم بدأ بدراسته حسب المادة والزمان والنهج

---

١ — ذكر الدكتور باشا غيناش في ترجمة « سياحت نامه‌سى » لاوليا جلبي ص١٤٧ أن البنادقه بنوا هذه القلعة الجميلة التي تشبه اللؤلؤ الأبيض وسموها بـ (بروساتس) ، وذكر إسم بروساتس أول مرة في التاسع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٤٧٨ وسميت هذه القلعة بعد ذلك ببلغراد ، وترجم اسمها إلى اللغة التركية واصبحت (اقحصار) يعني الدار البيضاء . وقال أوليا جلبي أنه كان في القلعة ثمانون دارا للجيش ومسجد واحد . أما خارج القلعة فكانت عدة مساجد وأحسنها مسجد حيضر كهايا الذي بني ١٠٢٥ هـ ١٦١٦ م ، وثمانية شوارع للسكني ذات دور أرضي أو طابق واحد وبساتين من حولها . ويدخل الإنسان القلعة عبر الجسر المتحرك الذي ينزل إثناء النهار ويرفع إثناء الليل . وكتب فوق مدخل القلعة عبارة تقول أن القلعة تشابه جنة المأوى . وتوجد في المدينة ثلاث تكايا وأشهرها تكية خلوتية بناها الشيخ حسن كافي وكذلك ثلاث كتاتيب كتب فوق الذي بناه الشيخ حسن تاريخ إنشائه « شيخ كافي » يعني (١٠٢١ هـ ١٦١٢ م) وكذلك خان بناه الشيخ حسن أيضا . وفي المدينة حمام واحد وثمانون محلا للبيع والشراء فضلا عن (باذيستان) وفيها دار الحديث ، وليست هذه المدينة كبيرة بل إنها مدينة حدود حول القلعة ، أما الجو فيها فانه لطيف وفي المدينة ماء عذب ادخل من خارج المدينة عن طريق الأنابيب الخشبية .

٢ — هكذا سمت مدينة (اشقدرة) في الوثائق التركية وحسن كافي يستعمل هذه الكلمة .

الذى كان متبعاً فى الدولة العثمانية حينذاك ، وأشار فى ترجمة حياته إلى أنه ارتحل إلى استانبول بعدما تيسر له «تحصيل مبانى العلوم» فى بلاده فى أوائل سلطنة السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان(١) وأخذ العلوم من عدة مشايخ ، واشتغل عند كثير منهم حتى انتسب إلى خدمة حاجى أفندى قره بيلان المشهور بـ معيد كمال باشا زاده(٢) فى بلده (جتلجة) المتوفى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة . ومن بين الذين أخذ العلوم عنهم كان العلامة فى التفسير والأصول قاضى العسكر بروم إيلى المعروف بالمعجم منلى أحمد الأنصارى ، والعلامة محشا كل الحديث والقرآن القاضى والملقب بـ(سرايبفو) بالى بن يوسف الشهير بمعلم الوزير الأكبر(٣) ، ثم آخر من تتلمذ عليه الأقحصارى هو قدوة مشايخ المدينة ومكة أستاذ سلطان الهند جلال الدين الأكبر والقاضى بعسكره الشيخ الأنور مـير غضنفر بن جعفر الحسين المتقاعد بالمدينة المنورة .

ولما تم الشيخ حسن كافى الأقحصارى دراسته فى استانبول عاد إلى مسقط رأسه (بروسانس) عام ٩٨٢ هـ وبدأ بالتعليم .

---

(١) كان سلطانا من سنة ٩٧٤ — ٩٨٢ هـ .

(٢) وضعه الاقحصارى فى سلسلة العلماء الذين نقلت عن طريقهم العلوم الإسلامية من النبى المرسل إلى وقته هو .

وقد تحدث عنه بكل احترام وتعظيم وقال : « الثامن والعشرون (فى هذه السلسلة) العالم العامل والأستاذ الفاضل الكامل ، الشيخ الهادى شيخى وأستاذى ، الشيخ حاجى أفندى المعروف بقره بيلان فيما بين أقرانه ، المشهور بمعيد كمال باشا زاده فى زمانه ، حصل مبانى العلوم فى شبابه بقسطنطينية المحمية ، ثم صار معيدا لدرس الإمام كمال باشا زاده وأمينا لفتواه ثم اختار التقاعد للتدريس بمدرسة الوزير على باشا فى بلدة جتالجة بقرب قسطنطينية وهو أول مدرس بها . . . » ص ٣٠ من المخطوطة المذكورة من نظام العلماء للاقحصارى .

(٣) ولد فى بلدة (سرايبفو) وأخذ العلم من علماء بلاده ثم صار معلما للأولاد ولكن بواسطة الوزير الأعظم محمد باشا صوكوللى — وهو بوسنوى أيضاً ولد فى قرية صوكول قرب =

ولما عاش الأقحصارى فى جو متوتر للغاية وبصفته عالماً بارزاً مشهوراً وكاتباً ماهراً وصاحب رأى حاسم فإن السلطة العثمانية حاولت ضمه إلى قواها العاملة لحل مشاكل الدولة العثمانية العديدة . وفى الزمان الذى كان الأقحصارى فيه معلماً شاباً داعياً إلى تحقيق الفكرة الاسلامية فى مطلع حياته العلمية ظهرت فى البوسنة تعاليم الشيخ حمزة التى استدعت تدخل استانبول وللعلم الشاب أيضاً فى شئونها مع أستاذه بالى أفندى(١) . وعين الأقحصارى بعد ذلك قاضياً فى (برسالس) سنة (٩٩١هـ) غير أنه نقل من هذا المكان الهادىء نسبياً ، بسبب جرأتة وحدة قلمه إلى ولاية (سرم) (٢) سنة (٩٩٦ هـ) .

كان الأقحصارى يتردد على استانبول كلما سنحت له الفرصة منتظراً من المسئولين منصباً عالياً وكأن وظيفته التعليمية والقضائية لم تكن فى مستواه بل كانت دونه على حد اعتقاده .

= مدينة (فيشيغراد) على نهر درينا — دخل فى جملة المدرسين بمدارس استانبول وتقلب فى عدة وظائف وفى النهاية كان قاضيا فى البوسنه وتوفى عام (٩٩٠ ـ ١٥٨٢) واشترك بالى الهندى فى تصفية الطريقة الحمزوية عندما أرسل شيخ الإسلام سنة (٩٨٦) المنشورات إلى القضاة يأمرهم فيها برد هؤلاء الزنادقة إلى دائرة الدين باى وجه كان « ص ٤٢ من الجوهر الاسنى » للخانجى نقلا عن الشقائق النعمانية .

(٢) ومؤسس هذه الطريقة يسمى حمزة ، ولد فى قرية من قرى مدينة (ازفورنيق) على نهر (درينا) فى البوسنة ويبدو أنه كان من أحفاد الشيخ حمزة (أورلوفيتش) الذى تبرع له السلطان بهدية قرية (أورلوفيتش) بما حولها من القرى المجاورة حيث بنى مسجدا وتكية ودارا للضيوف لا تزال موجودة على شكلها ونوعها كما كانت . وقتل مؤسس هذه الطريقة الشيخ حمزة عام (١٥٧٣ م) فى استانبول على أساس حكم شيخ الإسلام أبى سعود أفندى ، وقال ابن نوعى وشمس الدين سامى وعلى جواد أنه ظهرت منه أشياء مخالفة للشرع وعللوا ذلك باستغراقه فى الجذبة الالهية ، قالوا فحبس فى قلعة أنقرة فلما أصبح الغد وجدوه ميتا وذلك سنة (٩٦٤ هـ) ولم يذكروا ما ظهر منه ، الجوهر الاسنى ص ٦٨ .

(٢) المنطقة الواقعة بين نهرى (صافا) و (دانوب) فى يوغوسلافيا .

وبعد أن أدى فريضة الحج سنة ألف ، عاد إلى استانبول وعين من جديد قاضياً في بعض بلاد جوار أقحصار . وعندما ظهرت الفتنة والفساد من قبل بعض العمال في الأردل والبغدان(١) ترك الأقحصاري القضاء وفر إلى مسقط رأسه أقحصار وفي هذه الفترة من الأحداث المتوترة وصلت أعماله الفكرية السياسية إلى ذروتها حيث بدأ وضع رسالته « أصول الحكم في نظام العالم » .

لقد خدم مجتمعه بإخلاص وصدق ولم يخلف أملاكا ولا بنين بل أنفق كل ما كان يملكه في سبيل الأعمال الخيرية . وعندما اشتهر كحاكم كبير ومفكر عظيم قدم إلى الوزير الأعظم إبراهيم باشا خوشهرلي وهو بوسنوي أيضاً أهم مؤلفاته ومن بينها ترجمة رسالته « أصول الحكم » باللغة التركية التي يتحدث فيها بصراحة واستقامة عن أخطاء نظام الحكم التركي آنذاك مشيراً عند ذلك إلى الطرق والأساليب التي يمكن بواسطتها أن يعود إلى تركيا مجدها القديم وعظمتها ثم عين ـ مكافأة له ـ قاضياً مدى الحياة في مسقط رأسه (أقحصار) .

ويبدو أن الشيخ حسن بدأ ييأس من الحياة فاختفى وتراجع من الميادين السياسية وقضى بقية حياته كمحاضر وقاض يكتب مؤلفاته في مجال اللغة والدين لكن كلما خيمت من جديد السحب المليئة بالخطر الحربي تراه يتحرك فيه شعوره الوطني فيأخذ السيف في إحدى يديه والقلم في الأخرى ويقاتل ويجاهد ويعلم ويكتب حتى وافاه الأجل وهو في مسقط رأسه ـ بروماليس (أقحصار) . وذلك في الخامس والعشرين من شعبان أو في السادس عشر من رمضان سنة ١٠٢٥/١٦١٦م عن أربعة وسبعين عاماً .

---

(١) ولاية في رومانيا الحالية .

لقد اشترك الأقحصارى فى كثير من المعارك الدامية التى يتحدث هو بنفسه عن بعضها كما جاء فى كتابه « نظام العلماء » .

« ... وفى أواخر هذه السنة السلية (١٠٠٤ هـ) خرج سلطاننا المظفر والمنصور للغزوة المعروفة بغزوة (أكرا)(١) ومحاربة التابور ، الا وهو السلطان ... الغازى محمد خان ابن السلطان مراد خان ... فخرجنا للغزوة معه من أقحصار يوم السبت الرابع من محرم الحرام لسنة (١٠٠٥) ولحقنا بعسكره ... تحت القلعة بعد المحاصرة يوم السبت الثالث من صفر ... » وعرض فى هذه المناسبة كتابه المذكور « أصول الحكم » . وذكر فى تصنيفه المسمى بـ « أزهار الروضات فى شرح روضات الجنات » أن تسويده كان فى أواخر رجب لسنة ست وألف من الهجرة النبوية وتبييضه وتكميله فى غزوة (استروغون وفتحها)(٢) « مع تشتيت البال وكثرة الاشتغال بالمشاورة والرأى فى أسباب الفتح والظفر وتدبير أحوال العسكر . فى أوائل جمادى الأولى سنة (١٠١٤ هـ) وقد وقع الفراغ من تسوده هذا الشرح بعد الفتح والعود فى أوائل رجب المرجب من السنة المزبورة بقلعة (لوسيپك)(٣) ثم من تبييضه وإكماله بعون الله تعالى وأفضاله بقلعة أقحصار ... فى أواخر شهر شوال لسنة (١٠١٥ هـ) » .

ونجد مثل هذه الملاحظة فى كل من « نور اليقين » و « روضات الجنات » لهذا المؤلف حيث قال أنه كتب « روضات الجنات » فى بروسالس أثناء التدريس :

---

(١) تقع فى المجر وتسمى بـ « ارلاء » أيضاً ، فتحها السلطان محمد الثالث وسمى بفاتح أكرا .

(٢) مدينة فى المجر .

(٣) مدينة من مدن كرفاتيا فى يوغوسلافيا .

« بما خطر فى نفسى فى أثناء درسى ... مع كثرة الاشتغال بمخاطبة العوام وتشتت البال بمخاطبة غير الإسـلام والابتلاء بالقضاء سيما فى أيام الفترة والوباء وإثارة الفتنة وأنواع البلاء » .

وإلى جانب ممارسة المهنة القضائية والتعليمية فى مختلف المناطق وتاليف الـكتب فى شتى الميادين اهتم الأقحصارى اهتماماً كبيراً بشعبه . وقـد اختار فى نهاية حياته مكاناً هادئاً لأداء واجب العلم وأسس فيه مدينة جديدة للتعليم وسماها « نوآباد »(١) وبنى فيها على نفقته الخاصة مسجداً ومكتباً لتعليم الأطفال وخاناً وحماماً ومدرسـة ومحكمة واقام شبكة المياه لتزويد هـذه المدينة بماء نقى صاف واحيا شخصية (إيفاز دده)(٢) التاريخية وأخيراً بنى لنفسه فى مبق للمدرسة ضريحاً له دفن فيـه هو وزوجته .

مؤلفات الأقحصارى :

يعد الشيخ حسن كافى من بين العلماء البوسنويين الذين كتبوا باللغات الشرقية الثلاث فبرزوا فيها ، وعملوا على تقدم بيئتهم ونجحوا فى رسالتهم . إن هـذا العالم والمربى حول مدينة (بروسالس) الصغيرة إلى مركز علمى ظل تأثيره ممتداً على ما حوله من المدن والقـرى حتى بعد وفاته ، وبصفته أنه كان عالماً من العلماء الذين يهتموا بالمنواحى العلمية الصرفة نجده لم يكن يحب كتابة الشعر غير أنه توجد بعض الأبيات هنا وهناك فى مؤلفاته . وبمقتضى هـذا التخصص تأثرت كتابته بالأسلوب العلمى وكانت تتسم بحصر مواد البحث بشـكل موجز ثم يتبعها بالدراسة التفصيلية .

---

(١) كلمة فارسة تعنى « مدينة جديدة » .

(٢) جاء مع السلطان محمـد الفاتح الى بروسالس وبفضله اعتنق معظم سكان القـرى المجاورة لبروسالس الاسـلام « بوسنه وهرسك ولايت سالنامه سى ، ١٨٨٧/١٣٠٥ إيفازدد ه ص ٧٦ .

لقد كتب الشيخ حسن كافي الأقحصاري كتباً عديدة تناولت المنطق والفقه والعقائد والبلاغة وكل ذلك باللغة العربية . وذكر بعض هذه المؤلفات في نهاية تأليفه المسمى « بنظام العلماء إلى خاتم الأنبياء » حسب تواريخ تأليفها ، ونظـراً إلى أنه ألف هذا الكتاب سنة (١٠٠٨ هـ) وتوفي (١٠٢٤) فلا شك أنه كان لديه الوقت الكافي ليكتب بعض التآليف الأخرى ومما يؤكد ذلك بعض تصنيفاته الموجودة في المكتبات الشرقية في البوسنة وخارجها . وذكر الأقحصاري في نهاية كتابه « نظام العلماء » المؤلفات التالية :

١ — رسالة لفظ جلي ،
٢ — مختصر الكافي من المنطق
٣ — شرح المختصر إلى آخر تصورات
٤ — حديقة الصلاة
٥ — سمت الوصول إلى علم الأصول
٦ — شرح سمت الوصول إلى علم الأصول
٧ — أصول الحكم في نظام العالم
٨ — تمحيص التلخيص
٩ — روضات الجنات في أصول الاعتقادات
١٠ — نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء

أما مؤلفاته الأخرى المذكورة في بعض المراجع أو التي وجدت فهي :

١١ — شرح مختصر القدوري — أربعة مجلدات .
١٢ — أزهار الروضات في شرح روضات الجنات
١٣ — المنيرة

١٤ — نور اليقين فى أصول الدين ،

١٥ — شرح تخليص التلخيص ،

١٦ — رسالة فى بعض مسائل الفقه .

١٧ — شرح كافية ابن الحاجب ،

١٨ — تاريخ غزوة أكرا ،

١٩ — شرح مقدمة الصلاة للفنارى ،

وقال محمد طاهر بروسلى(١) كان حسن كافى الأقحصارى البوستوى يقـول « الشعر باللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية غير أنه ما بقى من شعره قليل جداً » .

مشـكلات عصره :

واجهت الامبراطورية العثمانية فى الفترة التى عاش فيها الأقحصارى المرحلة الأولى لاندثار نظامها الاقطاعى المسمى بـ « نظام تيمار » الذى أسسته وقامت عليه قوة الدولة العثمانية وطاقتها ، وبهـذا دخلت الدولة مرحلة التأخر وبدأت بالتدهور والانحطاط . وفى نهاية القرن السادس عشر انتهت فتوحات العثمانيين ونقص دخل الغنائم الحربية التى كانت مصدراً أساسياً لغنى الطبقة الحاكمة فى الدولة .

وكانت هذه الغنائم الحربية تغطى جميع النقص الاقتصادى وتخفف من المشاكل التى كانت تقوم بين الحكومة المركزية ومختلف الولاة فى المناطق ، أما الآن فإنها بقيت بدون تلك الغنائم وظهرت المشاكل المختلفة فى أوضح أشـكالها .

وباندثار النظام الاقتصادى العثمانى ، ومع التطور الكبير الذى ظهر بنشأة المدن

(١) عثمانلى مؤلفلرى ص ٢٧٧ .

الصناعيه التجارية ، دخلت الدولة فى مرحلة جديدة من الإنحطاط وعجزت الطبقة الحاكمة عن استخدام القانون الذى كان سارى المفعول بين السيد والمسود . وبانتقال الطرق التجارية العظمى من البحر المتوسط إلى المحيط الاطلنطى بعد اكتشاف أمريكا ، ثم باتجاه الطرق البحرية صوب الهند تقهقرت الدولة العثمانية أمام التنافس التجارى الدولى وبدأت تجارتها تكسد .

وبسبب التطور السريع فى صناعة الدول الغربية فى القرن السادس عشر وبداية السابع عشر بدأت تلك الصناعات تحتل الأسواق التركية وتقضى على المنتجات المحلية التركية .

وأدى اندثار النظام الاقتصادى التركى العثمانى « نظام تيمار » إلى هبوط الإنتاج اليدوى الحرفى فى المدن والقرى ، إذ أن تطور القوى الانتاجية الصناعية سبب ضعفاً كبيراً فى انتاج الحرف الصغيرة .

ونلاحظ أن تفوق الانتاج الصناعى فى الغرب تزايد بنسبة زاد معها ضعف الانتاج الحرفى فى تركيا ، حتى أصبح ذلك الخطر يشمل جميع أصناف المنتجات الحرفية .

وبدأت الدولة تدخل مرحلة صعبة جديدة بسبب ضرورة الدفع بالذهب للبضائع المستوردة من البلاد الغربية الصناعية . وفى نفس الوقت ضعفت صناعة التعدين، ولم يكن دخل المناجم كافياً لسد حاجات الدولة ومصروفاتها، وأدى هذا إلى اغلاق كثير من مناجم المعادن النفيسة.

أزمة داخلية :

وإلى جانب الأزمة الاقتصادية فى الدولة العثمانية فى القرنين المذكورين ظهرت عوامل داخلية أدت إلى سرعة انحطاط الأمبراطورية ، منها ضعف القوة الداخلية ونظام الضبط والربط حيث بدأ السلاطين والأمراء والولاة يعيشون فى ترف على حساب الغير

كما بدأتجمع رأس المال فى أيدى بعض الناس مما أدى إلى زيادة الأزمة المالية للحكومة وكانت الدولة تنجح أحياناً فى التغلب على بعض الصعوبات فى تلك الفترة لسد حاجات الجيش والعناصر غير المتتبعة بمشقة كبيرة ومناورات مختلفة مثل اغراق السوق بالنقد مع ضعف الرصيد الذهبي وتداول هذا النقد الضعيف أسهم فى ظهور ثورات واسعة النطـاق.

ونجد فى أواخر القرن السادس عشر أن قوى السلاطين التى كانت غير محـــدودة فى السابق بدأت تتعلق بارادة حراسها الانكشاريين، حتى قاربت عـلى الزوال ، وكل محاولة من قبل السلاطين لأخذ زمام القياده من جـديد كانت تؤدى إلى ازاقة الدماء والتمرد، وفى النهاية إلى قتل السلاطين أو عزلهم عن الحـكم .

الخطر من الخارج

لاشك أن القوى الأوروبية القائمة فى ذلك الزمن أسهمت فى اضعاف الامبراطورية العثمانية كما أسهمت فى ذلك الاختراعات الجديده المختلفة فى الغرب، وخاصـة فى الفن الحربى الذى أدى إلى انتاج الأسلحة الحديثة. وكانت الدولة العثمانية منعزلة تمام الانعزال عن كل اختراع وتقـدم، فتراجعت أمام التفوق الأوربي.

وفى الوقت الذى ضعفت فية القوى العثمانية قويت على حدودها الشمالية دول كبيره مثل النمسا وروسيا.

وفى أوائل القرن السابع عشر كانت القوات العثمانية لاتثير الخوف أو الفزع عنـــد الدول الأوربية، بل أن تركيا اعترفت بالنمسا كقوه مساوية لها ، وألغت الاتاوه التى كانت النمسا تدفعها اليها إلى عام الف وستمائة وسـتة .

وهذا برهان واضح على أن قواها قد انخفضت وضعفت، وهـــذا الاتفاق يعنى

انتهاء سلسلة طويلة من الغزوات التركية فى الغرب . نعم، نحن لانستطيع انكار محاولة جديدة للعثمانيين بغية التفوق وعودة نفوذهم السياسى والعسكرى القديم مثل ماحدث أثناء محاصرة (فيينا) عام ألف وستمائة وثلاثة وثمانين غير أن هذه المحاولة انتهت بانهزام كامل للقوات العثمانية .

هذا إلى ماساد الدولة من عناصر الرشوة والفساد والبغى والأمراض وعدم طاعة الجيش للمسئولين والأمراء، وقد تحدث الشيخ حسن كافى فى رسالته «اصول الحكم فى نظام العالم» عن هذه الأمور .

رسالة أصول الحكم فى نظام العالم :

فلما اتضحت علامات اضمحلال السلطة العثمانية فى آخر القرن السادس عشر الميلادى وابتداء القرن السابع عشر حاول كثير من العلماء والمفكرين أن يبينوا فى كتبهم ورسالاتهم أسباب الاضمحلال وعلاماته .

وقد كتب بعض العلماء والمفكرين من المسلمين قبل ذلك كتبا عن السياسة والإدارة مثل الفيلسوف أبى نصر الفارابى فى «السياسة المدنية» وابن تيمية ورسالته «السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية» والامام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى فى كتابه «التبر المسبوك فى نصيحة الملوك». والعالم الجليل الذى كتب كتاباً مفيداً من هذا الباب هو تاج الدين عبد الوهاب السبكى المتوفى سنة ٧٧١ ﻫ بعنوان «معيد النعم ومبيد النقم»، وكتب أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المالكى كتاباً بشأن هذا الموضوع وسماه «سراج الملوك» كما صنف نظام الملك (قتل ٤٨٥/١٠٩٢م) وهو وزير ملكشاه كتاباً سماه «سياستنامه» وكتب فى هذا الموضوع أيضاً «كوجى

بك» مستشار السلطان مراد الرابع والسلطان ابراهيم الأول عدة رسائل، وأشار فيها الى ضعف السلطة التركية في زمانه.

ومن بين الذين كتبوا في هذا الموضوع كان الشيخ حسن كافي الاقحصاري البوسنوي الذي كتب رسالة سماها «أصول الحكم في نظام العالم» وكتبها أولا باللغة العربية ثم ترجمها بناء على رغبة المسئولين إلى اللغة التركية. ودرس الاقحصاري تلك المسائل والقضايا بما تستحقه من جد.

عرض الاقحصاري في هذه الرسالة نظرياته وآراءه في نظام المجتمع والدولة، وذلك يتعلق في الدرجة الأولى بالدولة العثمانية، لكنه لا يهدف بها خلق نظام اجتماعي جديد، أو بحثاً في فلسفة الدولة مثل ماقام به مثلا ابن خلدون في مقدمته، بل يحاول أن يحلل مشاكل الوضع الذي كان سائداً آنذاك في البوسنة والدولة العثمانية وأن يشير إلى العوامل التي يمكن أن تحفظ مجد العثمانيين وقوتهم، وبالأحرى يشير إلى الأخطاء التي تقود لامحالة إلى انحطاط المجتمع والدولة.

وفي هذا التحليل تنديد بتصرفات أجهزة الدولة وممثلي السلطة كالأمراء والباشوات وقواد الجيش، بل يمكننا القول أنه كان يقصد بنقده هذا أعلى جهاز إداري في الدولة بما في ذلك السلطان نفسه أو ولي الأمر أياً كان لقبه.

ومع ذلك فهو يعرض فكرته على أنها يمكن أن تطبق كذلك على الأماكن التي يتوطنها المسلمون، بل وعلى المناطق التي يعيش فيها غير المسلمين.

ونحن نجد في هذه الرسالة شيئاً من التناقض. فالمؤلف يتحدث عن سير المجتمع في طريق الانحطاط بسبب الفساد وفقدان العدالة والظلم والطغيان وإهمال التنظيم وعدم مراقبة الجيش، وبسبب الالتفات إلى المتعة واللهو والرغبة في النساء واستخدام الرشوة

وما أشبه ذلك . على حين أنه فى الوقت نفسه ينسب إلى كبار المسئولين صفات الايمان والعدالة والتنظيم والتواضع والبساطة فى الحياة والتدبير فى العسكر وأعمال الخير وقيام النظام واعادة السلام والأمن والتقدم . الخ.

وقد ظهر التناقض فى أن كل شيء بدا على مايرام عند الحكام بينما نرى المجتمع يسير بخطوات سريعة نحو التدهور .

ويمكن أن يفسر هذا المسلك من المؤلف على ضوء منهجه وفى ظروف الحياة فى عصره .

كان الشيخ حسن كافى منهجه الذى يعتمد على أساسين :

الأول . العمل على العودة بالاسلام فكرياً وسياسياً إلى عصره الأول .

والثانى . الجرأة فى الحق وهى ضرورية لتحقيق الأساس الأول .

ولما لم تكن لديه تلك الجرأة ليقول ما يقصد بصراحة وليوجه نقده إلى الجهات العليا ـ خوفا من الدسائس فى القصر السلطانى، وعند الأمراء وخوفا من أن يصله «الخيط الحريرى» المهدى من قبل السلطان لكل ساخط أو ثائر أو متمرد أو حق مصلح، ولكل من يعارض ارادته، وبسبب عمليات الاغتيال المختلفة نجده يدافع عن السلطان وبعض الوزراء والأمراء الذين كانت سيوفهم وخناجرهم تلوح فوق رؤوس فرسان البوسنة .

وليس هذا فقط بل كان يمدحهم ويرفع من قدرهم ومكانتهم فى مقدمات تأليفاته أو خاتماتها، مقدما لهم نياشين المجد والنصر والعدل والحكمة والتنظيم، والأعمال الخيرية و... الخ .

لقد كان الشيخ حسن يرى أن الجرأة لابد أن تكتسى بشيء من أسلوب سياسى

ومهارة تعلو دسائس الحاقدين ،ولا بد أن يستعمل شيء من الحيلة لتنفيذ فكرته ، وأن هذا الأسلوب وهذه المعاملة لابد منها لتحقيق الأساس الأول .

أما المسائل التي ناقشها الاقحصاري في هذه الرسالة فإننا نجدها في بعض المصادر العربية . وأول ما ناقشه الاقحصاري في الفصل الأول من رسالته كانت مسألة العدالة عندما قال: « الأصل الأول في سبب نظام السلطنة وامتدادها ، العمدة فيه العدالة وحسن السياسة ». وناقش مسألة تفويض الامور إلى أهلها ومسألة أداء الامانة، واستعمال الأصلح . وتجد هذا عند ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » الذي تحدث أولا عن استعمال الأصلح في الولايات وأداء الأمانات(١) .

ومسألة العدل نجدها أيضاً في كتاب «سراج الملوك» للطرطوشي (٢)

ومسألة تفويض الأمور إلى الأصلح نجدها عند السبكي(٣) كما ناقش الاقحصاري مسألة اختيار وزير عادل مصلح ونجدها عند الطرطوشي أيضاً(٤) . وجعل الشيخ

---

(١) السياسة الشرعية ص ١٧ .

(٢) في الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات لها دونها وعند ذلك يقول : « فأول الخصال وأحقها بالرعية العدل الذي هو قوام الملك ودوام الدولة » ص٥١ — ٥٤ ، كما تحدث عن العدل في مناسبات شتى مثل : قالوا ظفر الملك بعدوه على حسب عدله في رعيته » (ص ٧١ وفي ص: ١١٨ و ١١٤ ــ ١١) .

(٣) في كتابه المذكور « معيد النعم ومبيد النقم » الذي يحتوي على ما يحفظ للإنسان في حياته النعمة والذي لا يحقق إلا بأن يقوم كل امرىء بما يجب عليه ويؤدي حق العمل الذي خص نفسه به وبناء على ذلك قسم الناس إلى مائة واثني عشر صنفا (أو ثلاثة عشر) حسب مهنهم في الحياة .

(٤) « سراج الملوك » ص ٧٠ ، ١٤١ .

حسن كافى الاقحصارى الأصل الثانى من رسالته خاصاً بالمشاورة والاستخارة فى الرأى والتدبير، وكذلك فعل ابن تيمية فى الفصل السابع من رسالته المذكورة «الرسالة الشرعية » كما تحدث الطرشوشى عن أهمية المشاورة فى صفحات من كتابه المذكور (١).

وقسم الاقحصارى الناس حسب عملهم إلى أربعة أصناف ، ونجد ابن تيمية صنفهم إلى أولى الأمر والعلماء وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس(٢) ، وفى مكان آخر أن الناس أربعة أصناف(٣) . كما نجد نوعا من تقسيم الناس حسب أعمالهم لدى الطرشوشى أيضاً(٤).

تناولت رسالة الاقحصارى مسألة تبجيل العلماء وتحدث عنها ابن تيمية(٥) . أيضاً وناقش الاقحصارى بوادر انحطاط الدولة كما ناقشها الطرطوشى(٦) وبحث الاقحصارى عن استعمال آلات الحرب والقتال وتدبير العسكر وتحريضهم كما تحدث عن هذه المسألة المهمة الطرطوشى (٧) . وبالرغم من ذلك فإن الاقحصارى لم يقلد القدماء فى هذه الرسالة ، بل كان له منهجه الخاص . وذلك أنه وإن لم يغب عن باله مرة واحدة الشريعة ، لكنه لم يتكلم عنها كما جرى عند ابن تيمية والسبكى والطرطوشى ، بل أخذها كحقيقة ثابتة لابد من تطبيقها . وربط المواد التاريخية فى رسالته بالحقائق الواقعية التاريخية التى حدثت فى عصره وكان أكثر من الآخرين معالجة للوقائع المباشرة .

---

(١) « سراج الملوك » ص ٥٣ كما خصص الباب السابع والعشرين للمشاورة والنصيحة.
(٢) « السياسة الشرعية » ص ١٦٢ .
(٣) نفس الكتاب ص ١٦٧ — ١٦٨ .
(٤) « سراج الملوك » ص ١٣٨ — ١٣٩ .
(٥) السياسة الشرعية لابن تيميه ص ٥٠ — ٥١ ، ١٦٩ .
(٦) سراج الملوك للطرطوشى ص ٥١ — ٥٥ .
(٧) نفس المرجع ص ١٧٣ .

المخطوط :

اعتمدنا فى تحقيق نص رسالة « أصول الحكم فى نظام العالم » على المخطوطة رقم : ١٩٢٨ ومخطوطة رقم : ٢٢٧٠ بمكتبة الغازى خسروبك بسراييفو، وسنرمز إلى المخطوطة الأول بالحرف «ا» فى حين سنرمز إلى المخطوطة الثانية بالحرف «ب»

ومخطوطة رقم ١٩٢٨ مكتوبة بخط نسخى على ٢٥ صحفة كتبة جنق زاده مصطفى بك بن فيض الله بن اسماعيل فى اليوم الثالث والعشرين من شهر شوال لسنة تسع وثمانين ومائة وألف . وهى مخطوطة رديئة تحتوى على أخطاء كثيرة .

ومخطوطة رقم ٢٢٧٠ مكتوبة بخط عثمانى جميل واضح ومتن الرسالة مكتوبة باللغة العربية بالحروف الكبيرة وشرح الرسالة مكتوب باللغة التركية بالحروف الصغيرة ولا يعرف كاتبها ولا تاريخها إذ ليس هناك إشارة ما إلى ذلك . وهذه المخطوطة فى ظننا أقدم عهدا بكثير من المخطوطة السابقة وتمتاز بالدقة البالغة . وقد اعتمدنا عليها اعتمادا كبيرا إلى جانب مخطوطة جنق زاده مصطفى المذكورة .

أصول الحكم في نظام العالم

حمدا لك (اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)[1] وصلاة على رسولك محمد سيد الأنبياء ، وعلى آله وأصحابه أولى الأبصار والآراء ، ما دامت الأرض ودارت السماء .

وبعد . فان الفقير إلى الله البار ، كافى الاقحصارى [2] ، أعانه الله فيما استمانة [3] وصانه عما شانه ، يقول :

لما شاهدت سنة أربع وألف [4] فى نظام العالم خللا ، وانتظام أحوال بنى أدم زللا ، خصوصا فى دار الاسلام [5] أصلحها الله وسلمها إلى يوم القيام . قليلا بعد قضاء السنة والفرض ، (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض)[6] فألهمنى بلطفه شيئا من الحكم [7] وافهمنى من فضله مالم أكن أعلم ، القى على قلبى قوله (أن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [7] وشرح صدرى التأمل فى أحوال الناس وأسباب تغير هم ، فلما تأملت بعونه اللطيف ، فيما كان منذ عشر سنين ونيف انكشف لى فى ذلك وجوه وأسباب ، والله أعلم بالصواب ،

---

(١) سورة عمران آية : ٢٦ .

(٢) حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب الاقحصارى الذئبى .

(٣) فى نسخة « ا » — استغاثة .

(٤) ثار أمراء الاردل والافلاق ضد الأتراك وبدأ البغى والفساد وخرج السلطان محمد بن مراد بن سليم بن سليمان للغزوة المعروفة بغزوة « أكرا » .

(٥) يقصد المؤلف الدولة العثمانية التركية .

٦) سورة الانعام ، آية ٧٩

(٧) فى « ب » الحكمة .

(٨) سورة الرعد آية : ١١ .

الوجه الأول :

الأهمال في العدالة (والضبط بحسن السياسة) [1] وسببه عدم تفويض الأمور إلى أهاليها [2] .

الثاني : المسامحة في المشاورة (والرأى)[3] والتدبير وسببه العجب (والكبر)[4] في الكبراء واستنكافهم عن مصاحبة العلماء والحكماء .

الثالث : المساهلة في تدبير العسكر و استعمال آلات الحرب عند محاربة الاعداء وسببه عدم خوف العسكر من الأمراء ، ثم سبب جميع الأسباب ، وغاية ما في البال طمع الارتشاء ورغبة النساء ، فاستخرت الله تعالى باكيا ، ومن نكبات الدهر شاكيا ، فخارلى أن أكتب مختصرا مفيدا في هذا الباب يشتمل على كلمات من جوامع الكلم ، في تجديد قواعد النظام ، وكتابا سديدا يتضمن خلاصة أقوال أولى الألباب من المعارف والحكم في تأييد بنيان الانتظام ، فاستصفيته من كتب قدماء العلماء وكبراء الحكماء ، خصوصا من أنوار التنزيل وروضة العلماء [5] ، جعله الله العلى الأعلى عناية للامراء ، وهداية للوزراء ، وأسوة للحكماء ونصرة للفقراء ، ورتبته على مقدمة وأربعة أصول وخاتمة . وسميته بأصول الحكم في نظام العالم [6] ، ثم

---

(١) سقطت من نسخة «ب» .
(٢) في نسخة «ب» إلى أهلها .
(٣) سقطت من نسخة « ا »
(٤) سقطت من نسخة «ب»
(٥) « . . . . ويسمى أنوار التنزيل وروضة الاخبار للزمخشرى «أصول الحكم في نظام العالم باللغة التركية ص٥ للاقحصارى وفي « كشف الظنون» لحاجى خليفة» المجلد الأول ص١٨٦ « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » في التفسير للقاضى الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى الشافعى » .

وفي ص٩٢٢ «روضة العلماء للشيخ أبي على حسين بن يحيي البخارى الزندويستى . . . سميته روضة العلماء وكان اسمه الأول روضة المذكورين» .
(٦) في نسخة «ب» سميته بأصول الحكم في نظام العالم ورتبته . . . »

خدمت به لحضرة الوزير المشير الصالح ، والأمير الكبير السامح خلاصة الوزراء ، سلالة الكبراء ، المأمور بحراسة حدود دار الاسلام بالسيف والقلم المنصور برياسة الولاة الاعلام من أرباب الطبل والعلم ، رئيس العساكر المنصورة السلطانيه حافظ الدوله القاهرة العثمانية سمى الوزير التقى الحافظ أحمد باشا (١) حفظه الله عما لايشاء، ويسره لكل ما يشاء (٢) ، صنه اللهم عن ريب المنون ، وأعطه عمرا ينتهى فيه السنون(٣)، والله المستعان وعليه التكلان .

المقدمة

فى سبب نظام العالم : وهوانه تعالى لما قدر بقاء العالم ببقاء نوع الانسان إلى وقت معلوم ، وبقاؤه بالتناسل ، وهو بالمعاشر والتعامل ، احتيج إلى أسلوب يتضبط به أمر الانسان على وجه أحسن فى جميع الازمان . فبالهام من الله وتوفيق(٤) رتب ودماء العلماء وحكماء القدماء بنى آدم على أربعة أصناف ، صنف السيف وصنف القلم، وصنف الحرث والزراعة وصنف للحرفة والتجارة ، وجعلوا التصرف فى الجميع (٥) ملكا وإمارة .

أما الصنف الأول فهم الملوك والسلاطين ونوابهم وساير العسكر ، فالواجب عليهم ضبط جميع الاصناف والمحافظة بالعدالة(٦) وحسن السياسة بتدبير العلماء والحكماء،

---

(١) هو بوسنوى أيضا .

(٢) فى النص « ... ويسره كل ما يشاء ... »

(٣) لم يذكر الاقحصارى فى شرح رسالته « أصول الحكم فى نظام العالم » باللغة التركية كلمات مدح الوزير أحمد باشا إذ أنه قدم شرح الرسالة إلى السلطان وكبار المسئولين الآخرين عن طريق الوزير الأعظم إبراهيم باشا نوشهرلى.

(٤) فى نسخة «ب» — وتوفيقه .

(٥) فى نسخة «ب» ... والكل .

(٦) فى نسخة «ب» ... بالعدل .

وللقاتلة والمحاربه لدفـع الاعـــداء ، والعمل بسائر ما لا بد منـــه للامراء ، كما سيجيء أن شاء الله تعالى .

وأما الصنف الثانى فالعلماء والحـكماء ، وسائر اصحاب الدعاء ، من الصلحاء والضعفاء ، فعليهم محافظة أوامر الله ونواهيه بالـكتابة [1] والرواية وتبليغ أحكام الشريعة إلى جميع الاصناف ، والرأى والتدبير والمشاورة وتعليم الدين والديانة ، وترغيب الخلق على العبادة وحسن المعاشرة والدعاء بالخير لصلاح الجميع عمـــوما ولصلاح السلطان خصوصا . وأما الصنف الثالث فأهل الحرث والغرس المعروف فى فى زماننا بالرعايا ، فعليهم السعى والجد فى أسباب المعاش بالحرث والغرس والدواب والانعام ، لـكفاية جميع الاصناف . فهذا أفضل الأعمال بعد العلم والجهاد .

وأما الصنف الرابع فأرباب الصنايع وأصحاب التجـارات ، فعليهم السعى فيما لابد منه للاصناف من الأمور الصناعية وأحوال التجارة ومـا يناسبهم مما ينتفع به الخلق وأما المـكلف الخارج عن الأصناف فعند الحكماء الاسلامية لا يترك على حالة بل يجبر على أن يـكون من أحدها وعند بعض الفلاسفة قيل : يقتل لأنه يكون كلا على الناس ، فثبات كل صنف على عمله المخصوص له يوجب نظاما فى الملك واهمـاله يوجب خلافه . فعلم من هذا أنه لا ينبغى أن يكلف أو يجـبر صنف على عمل صنف آخر لأنه يوجب اختلالا وتشوشا كما وقع فى هذا العصر لجبر الرعايا وأهل الصنايع على المحاربة باهمال العسكر فيها (حيث أهمل أهل العسكر فى دفع الاعداء ثم اجبروا الرعايا وأهل الصنايع على المحاربة فتعطل أمر الزرع والحرث فتشوش أمر المعـاش على الـكل وظهر القحط والغلاء وتوجه الغموعم البلاء ولعمرى أن هذا خلل عظيم فى الملك أصلح الله بمنـه منه [2] . وهذا من سنة احدى وألف إلى هذا الآن . ومادام

---

(١) فى نسخة «ب» . . . الـكتاب .

(٢) كتبت هذه العبارة على هامش المخطوطة باللغة العربية أما باللغة التركية فذكرت فى مكانها

محافظة السلطان على الترتيب القديم بموجب الشرع القويم يزداد الملك نظاما ، وأحوال بنى آدم ، والسلطنة قوة ، وإذا وقع الاهمال فى رعاية هذا الاسلوب ، وحماية ذلك السمت المرغوب ، يسرى الفساد فى الملك والضعف إلى الامارة فى الجوانب الاربعة ، وربما يوجب الانتقال إلى الغير . اللهم احفظ الممالك الاسلامية من الاختلال ، وأمن الدولة العثمانية عن موجبات الانتقال آمن ياذا الجلال والجمال .

الاصل الأول

فى سبب نظام السلطنة وامتدادها .

العمدة فيه العدالة وحسن السياسة . قال الله تعالى (ان الله يأمر بالعـــدل والاحسان)(١) ، يندرج فيه جميع أمور الخير للرعية والسلطان.

قال النبي عليه السلام : زين الله السماء بالثلاث بالشمس والقمر والكواكب، وزين الأرض بالثلاث : بالعلماء والمطر وسلطان عادل ، وقال عليه السلام العدل من الدين وقوة السلطان . قيل : من حسنت سياسته دامت رياسته . قيل لاتتم الرياسة إلا بحسن السياسة ، يقال : ثبات الملك بالعدل .

ارد شير بابك : إذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة ، وعنه : لاسلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولامال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن السياسة ، قيل : لايكون العمران إلا حيث يعدل السلطان .

قيل : دولة الملوك فى العدل ، قيل : خير الملوك من احسن فى فعله ونيته وعدل فى جنده ورعيته . سأل يزد جرد حكيما باصلاح الملك ، قال : الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم بغير عنف والتودد إليهم بالعدل وأمن السبل وانصاف المظلوم . عبد الله بن طاهر سأل بعض الزهاد كم تبقى هذه الدولة فينا ؟ قال مادام بساط العدل فى

---

(٢) سورة النحل،آية : ٩٠

هذا الايوان ، (إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١) ،قيل من طالت غفلته زالت دولته (٢) .

قيل : الغافل من الملوك (من) (٣) اجتمع فيه خصلتان الانهماك فى اللذات واضاعة الفرص . بعض الحكماء : لاسائس مثل العقل ولا حارس مثل العدل ولاسيف مثل الحق ولا عون مثل الصدق قيل : العدل حصن وثيق فى رأس جبل أنيق ، لايحطمه السيل (ولا يهدمه منجنيق) (٣) ، قيل : الملك العادل مكنون بعون الله وعروس بعين الله . قيل لما مات النوشروان طافوا بتابوته فى جميع مملكته وينادى منادى « من له حق علينا فليأت » فلم يوجد أحد له عليه درهم فى ولايته . فيا عجبا من هذه القصة العجيبة ، فان فيها لعبرة عظيمة (٢) للملوك الاسلام وعبرة كبيرة لامرائه لو كانوا يتفكرون :

ثم لابد للسلطان من أن يفوض كل أمر إلى أهله كما أشار إليه قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها (٣) وإلا فسدت قلوب المستحقين عليه فيرتب الخلل كما وقع فى هذا الزمان ، فان ألف ألف من العلماء والفصحاء للملك قليل وعدو واحد كثير : ابن رومى :

« فما بكثير ألف خل وصاحب   وإن عدوا واحدا لكثير »

قال عليه السلام : من ولى واحدا وفى رعيته أولى منه فقد خان رسوله وجماعة

---

(١) سورة الرعد، آية : ١١
(٢) فى النص « ... من طال غفلته زال دولته »
(٣) سقطت من نسخة « ب »
(١) سقطت من نسخة « ب »
(٢) فى نص نسخة « ب » ... لغيرة عظيمة .
(٣) سيرة النساء ، آية ٥٨

للسلمين . قيل : إذا ساد اللئام باد الكرام . إذا ارتفع الوضيع اتضع الرفيع ، إذا ملك الاراذل هلك الافاضل ، دولة الاشرار محنة الابرار ، ومن أجل الغنائم دولة الاكارم قيل لبرز جمهر : كيف اضطربت أمور آل ساسان وفيهم مثلك ؟ قال : استعانوا بأصاغر العمال على أكابر الأعمال ، فآل أمرهم إلى ما آل . وفى الجواب تنبيه عظيم فى هذا الزمان إلى آل عثمان أبد الله تعالى دولتهم (وايقظهم) [٤] إلى انقضاء الزمان وانقراض الدوران :

ثم لابد للسلطان من أن يختار وزيراً عالما مصلحاً ، فإن الوزير إذا صلح صلح الملك وإذا فسد فسد ، اللهم اصلح . قال النبي عليه الصلاة والسلام إذا أراد الله بأمير خيرا جعل له وزير صدق ، أن نسى ذكره وأن ذكره أعانه ، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره . وإن ذكر لم يعنيه . قيل لاتسأل عن السلطان من هو ، وانظر إلى الوزير من هو . كان لاسكندر وزير قد [١] وزير له مدة طويلة ولم ينبهه على عيب فقال له يوما : « لاحاجة لى فى خدمتك فإنى إنسان ، والإنسان لايخلوا من الخطأ والنسيان ، فإن لم تقف منى [٢] على خطأ فأنت جاهل ، وإن وقفت وسترت فأنت خائن . يقـــال : الأمين من الوزراء من يصحب الملوك بالصدق فى المناصحة ، والخائن من يصحبهم بالمداراة والمداهنة .

ثم يجب أن يبجل العلماء والصلحــاء وأهل الدعاء ويكرمهم (ويعظمهم) [٣] ويجلب قلوبهم بإحسانه وأنعـــامه ويستعين بدعائهم ومشاورتهم ورأيهم وتدبيرهم ،

---

(٤) سقطت من نسخة «ب»

(١) سقطت من نسخة «ب»

(٢) سقطت من نسخة «ب»

(٣) سقطت من نسخة «ب»

ويعتمد على أقوالهم فوق مايعتمد على غيرهم (٤) إذ لايقع منهم خيانة ولاحيلة ولم تسمع قط فإنهم ورثة الأنبياء وسبب صلاح الدنيا والعقبى . يقال إنما تقوم الدنيا بأربعة بعلم العلماء ، وعدل الأمراء ، وعبادة الصلحاء ، والأسخياء . قال النبي عام النظر فى وجوه العلماء عبادة وقال عليه السلام : يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة ، فلا يفضل أحدهما على الآخر . قيل : خير الأمراء من يجالس العلماء وشر العلماء من يجالس الأمراء . قيل : خير الملوك من تمكن فى قلوب رعيته محبته كما تقرر هيبته بخمسة أشياء : إكرام شريفها ورحمة ضعيفها وإعانة لهيفها وكف عدوان عاديها (وتأمين سبل رائحها وغاديها) (١)

ولابد للملك أن يكون مبسوط اليد فإن الخلق لايتبعه إلا لغرض دنيوى ولايكون إنعامه وإحسانه مخصوصاً بطائفة لأن الإمامة موقوفة على العسكر والعلماء والحكماء والبلغاء والفقراء وأهل الحرفة .

قيل : الإنسان عبد (٢) الإحسان بعض الحكماء : العجيب ممن يشترى العبيد كيف لايشترى الأحرار بفعاله ؟ الشافعى رحمه الله (نظم) :

أحسن إلى الأحرار تملك رقابهم وخير تجارات الكرام اكتسابها (٣)

على رضى الله عنه : أحسن الكنوز محبة القلوب . قيل : من حفظ ماله ضيع رجاله . قيل لاسكندر : لم لاتكثر الأموال كما كان تفعل الملوك ؟ .

فقال « كنوزى هم أصحابى » أكنز الأموال فيهم لافى البيوت . قيل : ...

(١) فى نسخة «ب» — «...على قول غيرهم» .
(٢) سقطت من نسخة « ب »
(٣) فى الأصل: «...عبيد الاحسان»
(٤) وزن هذا البيت غير مستقيم تماما .

ليس له إحسان ليس له إخوان . أبو الطيب (نظم) :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها ... سرور محب أو إساءة مجرم

ولقد أحسن من قال (نظم)

حسن الفعال من الصلصال (١) مقصود ... والمرأ بالفعل مذموم ومحمود

فإنه يرفع (٢) الإنسان أربعة ... العلم والحلم والإحسان والجود

البستى :

إذا لم يكن ملك ذاهبة ... فدعه فدولته ذاهبة

وله (نظم) :

من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... إليه والمال للإنسان فتان

من كان للخير مناعاً فليس له ... على الحقيقة إخوان وخلان

من رقى درجات الهمم ، عظم فى عيون الأمم ، من كبرت همته كثرت قيمته . بعض الحكماء : الملك المخلق كالجبل للأرض .

فلابد من أن يكون وقوراً حليا وصبورا أميناً لا مستعجلا فى عقوبة رجل إذا سمع فى حقه شيئاً والا لايأمن منه أحد فيفسد قلوب الرعية عليه . وإذا جلس مقام أبيه لأن الحب والبغض يتوارثان فإنهم لايكادون يخلون بينه وبين مكروه ولايقدم أحداث القوم عليهم لئلا يفسد قلوبهم عليه . بل للملك أن لايجالس الأحداث مطلقا

---

(١) يريد بصلصال الانسان باعتبار اصله .

(٢) فى الأصل : « . . . فانه قد يرفع »

قيل : مجالسة الأحداث مفسدة الدين .

فصل ، قيل : علامة أدبار دولة الملوك (١) ان يصحب الأحداث ومن لا عبرة له بالعواقب ، وأن يقصد أهل مودته بالأذى وأن ينتقص خراجه عن قدر مؤنه ملكه وأن يكون تقريبه وتبعيده تابعاً لهوى لا للرأى والاستهانة بناصح العلماء . قيل : علامة أدبار الإمارة : كثرة الطاعون وقلة العمارة . يقال ثلاثة تجر الهلاك إلى الملك :

— أن يتعاصى على عقل الملك اللذات والشهوات .

— وتحاسد الوزراء المقتفى لتحالف الآراء .

— ونكول الجنود عن الجلاد مع ترك المناصحة فى الجهاد . وأظهر العلامات : ترك العمل بأحكام الشريعة وعدم المبالاة بتنفيذها وأقربها : غلبة الظلم وشيوعه من العسكر وعدم المبالاة بدفعه ، فإذا وقع شىء من هذه العلامات من الملك أو ظهر فى ملكه يجب على الوزراء والعلماء أخباره (فى الحال) (٢) وعلى السلطان دفعه وتداركه بلا إهمال وإلا بعد التوجه والهجوم كاما يمكن دفع الهجوم (٣) .

ابن عباس رضى الله (رفعه) (١) قال النبي عليه عليه السلام أن من اشراط الساعة : اضاعة الصلاة واتباع الشهوات وكون الامراء خونة والوزراء فسقة فوثب سلمان رضى الله وقال بابى وأمي أإن هذا لكائن ؟ قال نعم ياسلمان عندها قلب المؤمن يذوب كما يذوب الملح فى الماء ولا يستطيع أن يغير . قال أو يكون ذلك ؟

(١) فى نسخة «ب» الملك

(٢) سقطت من نسخة «ب»

(٣) العبارة مضطربة — غير واضحة تماما ولعلها « ... والا فبعد ... فلما .... الهموم » .

(١) سقطت من نسخة «ب»

قال نعم ياسلمان أن اذل الناس يومئذ للؤمن يمشى بين أظهرهم بالمخافة أن تكلم اكلوه وأن سكت مات بغيظه ، اللهم أدفع عن الدولة القاهرة العثمانية هذه العلامات بحرمة حبيبك محمد سيد السادات ، آمين ياقاضى الحاجات .

الاصل الثانى : للشاورة والاستخارة فى الرأى والتدبير (٢).

قال الله تعالى (وشاورهم فى الامر) (٣) ولا يخفى أنه عليه السلام كان اعلمهم بجميع الامور وإنما قال هذا ليكون سنة وطريقة لامته . فينبغى السلطان ونوابه أن لا يستبد (٤) برأية بل يستشير كثيرا من العلماء والعقلاء وأهل التجربة من أركان الدولة تحرزا عن الخطأ . قال النبي علم (٥) المستشير معان . عمر رضى الله عنه : ما تشاور قوم الا هدوا إلى أرشد أمرهم . سليمان عليه السلام . يابنى لا تقطع أمرا حتى تؤامر مرشد فاذا فعلت فلا تحزن . قيل : من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة لحقيق أن لايضل رأية (٦) . يقال : من اجتهد رأيه واستخار ربه واستشار صديقه قضى الله فى أمره ما أحب . الحسن : الناس ثلاثة : رجل ونصف رجل ولارجل،أما الرجل فذ والرأى والمشورة وأما نصف الرجل فالذى له رأى ولا يشاور وأما الذى ليس برجل فمن لا رأى له ولا يشاور . قال عليه السلام لاصواب مع ترك المشورة . قيل لا رأى لمن تفرد برأيه . يقال اعقل الرجال لا يستغنى عن

---

(١) في نسخة«ب»...فى المشاورة والاستخارة والرأى والتدبير .
(٢) سورة آل عمران آية:١٥٩
٣) فى نسخة «ا» — . . . أن لا يتشمر .
(٤) عليه السلام.
(٥) فى نسخة «ب» زيادة — اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب،اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدرلى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدرلى الخير حيث كان ثم أرضنى به.

مشاورة أولى الالباب وأفره الدواب عن السوط ، وأورع النساء عن الزوج . علي رضى الله عنه نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد الارجانى (نظم) :

شـاور إذا نابتك نائبه يوماوأن كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها ما دنى ونأى ولا ترى نفسها الا بمـرآة

كان عمر رضى الله عنه إذا نزل به الامر المعضل دعى الفتيان واستشارهم وقال : هم أحد قلوبا . قيل رأى الشيخ كالزند الذى انثلم . ورأى الشاب كالزند الصحيح يورى بايسر اقتداح . الحكماء : اجعل سرك إلى واحـد ومشورتك إلى الف . فيلسوف الهند : بالرأى ينال ما ينال بالقوة والجنود . قيل : الرأى السديد (١) ، أحمى من الأيد الشديد . قال المنصور لولدة : خذ عنى اثنين لا تقل من غير تفكر ، ولا تعمل من غير تد بير (٢) قيل : الفكر المعقول امضى من الباتر المصقول . فضل بن سهل : الرأى يسد ثلم السيف والسيف لا يسد ثلم الرأى . الحكماء : حازم فى الحرب خير من الف فارس ، فان الفارس يقتل عشر أو عشرين ، والحازم قد يقتل جيشا كله بحزمه وتدبيره . قال النبى عليه السلام « : الحرب خدعة » . قيل إذا لم تغلب فاحتـل . الحكماء : كن بحيلتك أوثق منك بنجدتك ، وبحذرك افرج منك بشدتك . قيل المكر ابلغ من النجدة .

قيل (نظم) :

الرأى قبل شجاعة الشجعـان هو أول وهى المحل الثـانى (٣)

لقمان : يابنى شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ماقام عليه بالغلاء

---

(١) فى نسخة «ا» — الرأى الشديد.
(٢) فى نسخة «ا» — « » من غير تدبير.
(٣) مطلع قصيدة ديوان المتنبى .

وأنت تاخذه بالمجان . الاسكندر : لاتستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فإن الدرة لا يستهان بها الهوان غائصها (أنظر إلى ماقال ولا تنظر إلى من قال)(١)

فصل قيل يفسد التدبير ثلاثة أشياء :

— أحدها كثرة الشركاء فيه لانتشار التـدبير (وبطلانه) (٢) .

— والثانى تحاسد الشركاء لدخول الهوى والغرض .

— والثالث أن يملك التدبير من غاب عن الأمر المدبر فيـه دون من باشره فإنه يحقد للمباشر الحاضر (٣) .

على رضى الله عنه لاتدخلن بخيلا(البتة) مشورتك(٤)، يعدل بك عن الفضل ويعد لك الفقر، ولا جبانا يضعفك عن الأمور ، ولا حريصا يزين لك الشر ، فإن الجبن والبخل والحرص يجمعهـا سوء الظن بالله . فدل ماذكر من محاسن العبـارات وأحاسن الاعتبارات ، (على) (٥) أن الرأى والمشورة من أهم المهمات ، وأتم المختارات ، وقد أهمـلا فى هذه الأيام ، وأسقطا عن محل الاهتمام ، فلذلك توجـه الخلل إلى الأمور ، ووقع الزلل والفتـور ، صرف الله قلوب الأمراء والوزراء ، إلى أنجح آراء العلماء والعقلاء ، وألف برحمته بين قلوبهم وجعلهم مصيبين فى جميع خطواتهم آمين يا أرحم الراحمين . (بحرمة محمد وآله) (٦) .

---

(١) سقطت من نسخة «ا» .
(٢) سقطت من نسخة «ب»
(٣) فى نسخة «ب» — . . . للحاضر المباشر.
(٤) سقطت من نسخة « ا »
(٥) سقطت من نسخة « ا »
(٦) سقطت من نسخة « ا »

الأصل الثـالث : وجوب استعمال آلات الحـــرب والقتـال وتدبير العسكر وتحريضهم .

قال الله تعالى (يا يها الذين آموا خذوا حذركم) ، (١) أى تيقظوا واستعدوا وقال الله (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) ،(٢) والحذر كل مايتحصن به الغازى كالدرع ونحوه ويشمل الحزم . والسلاح معروف فاحذر كل منهما فرض لازم فلا يجوز تركهما عند المحاربة ، وقدشاع فى هذا الزمان تركهما عند الزحف خصوصاً فى ديارنا(٣) وذلك لعدم مبالاة أمراء العسكر باستعراض جنودهم بأنفسهم ولإهمالهم فى ذلك. وقد وجب على الأمير أن يستعرض جنده بنفســـه فينظر فى درعهم وعددهم ولا يعتمد فى ذلك على أحد غيره كما كان هذا عادة للملوك السالفة .

استعرض اسكندر جنده فقدم إليه رجل على فرس أعرج فأمر باسقاطه فضحك الرجل فاستعظم ضحكه فى هذا المقام وقال (له)(٤)،ما أضحكك وقد أسقطتك قال أتعجب منك ، قال كيف ؟ قال تحتك آلات الحرب وتحتى آلات الثبـــات ثم استقبلتنى ؟ فأجاب بقوله وأثبته .

استعرض عمرو بن ليث عسكره فمر به رجل على فرس أعجف فقال عمرو لعن الله هؤلاء ، يأخذون المال ويسمنون أكفال نسائهم . فقال الرجل ، أيها الأمير لو نظرت إلى كفل امرأتى لرأيته أهزل من كفل دابتى ، فضحك وأمر له بمال وقال خذه وسمن به كفل دابتك وكفل امرأتك . وبالجملة إن استعراض الجنود وتتبع

---

(٢) سورة النساء آية ٧١

(٣) سورة النساء آية ١٠٢

(٤) «فى البوسنه» شرح أصول الحكم «للاقحصارى ص٣٦

(٥) سقطت من نسخة «ب»

حذرهم وأسلحتهم واتخاذها ثم استعمالها هي العمدة في المحاربة والمقاتلة . فلا بد من الاهتمام في هذا الأمر خصوصاً في هذا العصر . ولعل ما شاهدناه في هــذا التاريخ من العجز عن المقاومة مع الـكفار ليس إلا لإهمال هــــذا الأمر الخطير والغرض الـكبير . وقد جربنا في ديارنا(١) من خمسين سنة إن أعداءنا من أهل الحرب كلما اخترعوا نوعاً من الأسلحة واستعملوه غلبوا علينا ثم إذا اتخذنا مثله واستعملناه غلبنا عليهم بعون الله (العلام)(٢) لقوة الإسلام . أما في هــــذا الزمان فاعداء بالغوا في استعمال بعض الأسلحة الحديثة كالبنادق ونحوها ، وأهمل عسكرنا في اتخاذ مثلها واستعمالها(٣) بل أهملوا في استعمال الأسلحة القديمة أيضاً ، فوقعوا فيما وقعوا هداهم الله إلى الخير ونصرهم .

لقمن . العدة ليوم الشدة ، وعنه : من لم يركب الأهوال لم ينل الآمال .

ثم يجب التحريض على القتال . قال تعالى (حرض المؤمنين على القتال)(٤) وكذا يجب عليهم على الصبر والثبات عند القتال ، قال تعالى (فان يـكن منـكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منـكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين) (٥) أى بالنصرة والمعونة . قال عليه السلام « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافيـة فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » . على رضى الله عنه: الصبر مطية الظفر . قيل : المغناطيس كما يجذب الحديد يجذب الصبر الظفر . قيل : الصبر على لبس الحديد ، تنعم في الثوب الجديد . قيل لبعض بنى المهلب : بما نلتم ما نلتم ؟

---

(١) « على حدود كرفاتيا » ، شرح أصول الحـكم للاقتصارى ، ص٣٨

(٢) سقطت من نسخة [١]

(٣) في نسخة [ب] (في اتخاذها واستعمالها) .

(٤) سورة الانفال ، اية : ٦٥

(٥) سورة الانفال ، آية : ٦٦

قالوا بصبرساعة. قيل: الصبردرج يفضي بمن عرج إلى الفرج . قيل : الصبر مفتاح الفرج.
عظائم الترك قالوا : ينبغى للقائد فى الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم ،شجاعة الديك وقلب الأسد وحملة الخنزيروزوغان الثعلب وصبر الكلب على الجراحة وحراسة الكركى وحذر الغراب وغارة الذئب . قيل : السلامة فى الإقدام والموت فى الإحجام : قيل : الشجاعة صبر ساعة . أفرآسياب الشجاع محب حق إلى عدوه والجبان مبغض حق إلى أمه . هذا مشاهدة فى حدود الروم خصوصاً فى ديارنا(١) فإن بعض أهل الحرب من الكفار إذا شاهدوا الشجاعة من بعض غزاتنا أحبوه ومدحوه وقد يكون أهدوا إليه هدية وإذا أحسوا الجبن من بعض أبغضوه وذموه وقد يكون أرسلو إليه بعض زى النساء (٢) .

قيل : لا تصغر أمر من حاربت فإنك إذا ظفرت لم تحمد وإن عجزت لم تحذر ، ثم ينبغى لأمير العسكر أن يوصى(٣) بعضهم ببعض . بعض العرب : مالقينا كتيبة(٤) وفيها على رضى الله عنه إلا أوصى بعضنا ببعض . كتب أبو بكر رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد رض(٥) حين أخرجه إلى أهل الردة ، اعلم أن عليك عيوناً من الله ترعاك(٦) فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ، أوصى الرشيد عبد الملك بن صالح أمير سريته فقال أنت تاجر الله لعباده فكن

---

(١) « حدود كرفاتيا » ، شرح أصول الحكم للاقحصارى ، ص : ٤١
(٢) فى نسخة «ب» (شيئا من حلى النساء)
(٣) فى النص . . . أوصى . . .
(٤) سقطت من نسخة [ا] – (تي) وكتبت [كبة]
(٥) رضى الله عنه .
(٦) فى نسخة [ب] زيادة – ... وتراك .

كالمضارب الكيس إن وجد ربحاً اتجر وإلا استحفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة .

ثم السلطان لو اضطر إلى المحاربة بالضرورة(١) لا يتقدم بنفسه بل يكون تحت رايته فتحصنا بمدده وعدده ويغير لباسه ساعة فساعة . وإذا جلس مكان العدو بالقهر لا يتركهم أمراء لأن التعصب لا يخرج من قلوبهم . قد شاهدناه فى هذا التاريخ(٢) من أمراء ولاية بغدان وقره إفلاق واردل(٣) فإنهم خذلهم الله قد أظهروا التعصب من مائة سنة ونيف(٤) ثم لما أحسوا الغفلة اغتنموا الفرصة وفعلوا ما فعلوا ولعمرى (لو)(٥) وقع الإهمال فى أمرهم بعد لعادوا لما اعتادوا ، فلابد من التدارك .
(ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (٦).

الأصل الرابع : فى أسباب الظفر والعون من الله تعالى وموجبات الهزيمة أعاذنا الله .

العمدة فيها الصلاح والتقوى فى العسكر . قال تعالى (إن الله مع المتقين)(٧) ، وقال (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)(٨) . وقال (استعينوا بالصبر والصلاة(٩) ولا شك فى أن الظفر مع العون ولا عون إلا مع قوم كان الله معهم .

---

(١) سقطت من نسخة [ا]
(٢) فى نسخة [ب] زيادة ــ ... سنة ثلاث وألف .
(٣) الولايات فى رمانيا الحالية .
(٤) فى نسخة [ب] ــ ... من خمسين سنة .
(٥) فى نسخة [ب] ــ ... إن وقع .
(٦) سورة البقرة ، آية ٢٥٠
(٧) سورة البقرة اية ١٩٤
(٨) سورة النحل ، اية : ١٢٨
(٩) سورة البقرة ، اية : ١٥٣

فأهم ما يجب على السلطان والوزراء أن(١) يأمروا عسكرهم بالتقوى، والصلاح والصبر والصلاة ويمنعوهم من الفسق والعصيان والميول إلى البدع والشهوات . وذلك ميسر بحسن السياسة والضبط ويسهل بالالتفات إلى أخيارهم والإعراض عن أشرارهم :

ثم سبب دعاء الصلحاء من العلماء والمشايخ والضعفاء والفقراء وهمتهم فإن همة الرجال تقطع الجبال . قال عليه السلام : لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر وقال عليه السلام : أنتم منصورون بضعفائكم فلا بد من المراجعة والالتفات إلى هذه الطائفة بالإنعام والإحسان والاكرام لتنجذب قلوبهم وتنشرح صدورهم إلى الدعوات الصالحات وحسن النيات فان فيها نفعاً عظيماً للخواص والعوام. ويجب الاحتراز عما يوجب إيذائهم والاستخفاف بهم لئلا تنكسر قلوبهم ولا تنقبض صدورهم فان فيه ضرراً لجميع الأنام . وفى هذا العصر لا يشاهد ولا يرى فيما بين أكثر الورى إلا الاعراض والاستنكاف (والايذاء)(٢) والاستخفاء ، خصوصاً من الطائفة الخاصة ، أصلحهم الله .

ثم سبب همة السلطان وعزيمته على ضبط العسكر بالجود والاحسان والانعام عند الغلبة ، ثم الوفاء لعهده ، والتهديد بالقهر والعقاب(٣) عند الهرب عن المحاربة : وقد شاع الهرب عن الزحف فى حدود الروم خصوصاً فى ديارنا(٤) ولا بد من التقيد والاهتمام . إلا أن يكون الهرب للرأى (وللصلحة)(٥) كما قيل :

(١) سقطت من نسخة [ا] و [ب]
(٢) سقطت من نسخة [ب]
(٣) فى نسخة [ا] ـ ... السياسه .
(٤) حدود البوسنه ، شرح أصول الحكم للاقحصارى ص : ٤٨
(٥) سقطت من نسخة [ب]

الحرب فى وقته خير من الصبر فى غير وقته . سأل عمرو بن العاص معاوية رضى الله عنهما أرى لك فى بعض الأوقات إقداما وأحكم بشجاعتك وأرى فى بعضها إحجاما وأحكم بجبنك فقال معاوية رضى الله عنه شعر :

شجاع إذا ما مكنتنى فرصة　　إذا لم يكن لى فرصة فجبان .

ثم السبب عزيمة الجند على المحاربة لاعزاز دين الله واعلاء كلمته لا لأخذ المال ونيل الجاه . قال عليه السلام : ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد فى سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الأداء .

ثم السبب طاعة العسكر وانقيادهم لأولى الأمر مع اتفاقهم وتألفهم بالتودد والمؤاخاة وامتناعهم عن التفرقة والمعاداة . هذا المعنى من أهم الأمور — . وقد فقد فى هذا العصر حيث كثر الخلاف والشقاق ، وشاع بينهم العناد والنفاق ، فلا بد من تدارك الاتفاق . فبعدمراعاة هذه الأسباب لابد منحسن الاعتقاد والتوكل على الله الملك الوهاب ، والاعتماد والتوسل إلى معجزات رسوله الهادى إلى سبيل الصواب .

وأما ما يوجب الانهزام والانكسار ، وما يورث تسلط الكفار ، فهو الأهمال فى العمل بما تلونا من الاخبار ، والأصل فيه العصيان والبغى فى العسكر فإن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لايعرفنى . وقال عليه السلام لاظفر مع البغى ويدل [على هذا(1)] نظر العقل فإن الفحشاء والمنكر والبغى خيانة فى الدين والخائن خائف والخائف لايخلو من الانهزام . وقد بدأ البغى فى ديار الروم بين عساكر المسلمين منذ ثلاث سنين ، فإن كثيرا منهم طغوا فى البلاد ، واكثروا فيها الفساد ، بهتك أعراض المسلمين ونهب أموالهم ، والتعرض لنسوانهم وأولادهم ، واغارة أرزاق الرعايا ، وايذاء الفقراء والضعفاء ، خصوصا

---

(١) فى نسخة [ب] — ... عليه

الطائفة الخاصة فسلط الله الاعداء على حدود الروم، فبالغوا في الهجوم، وأخذوا قلاعا كثيرة، وأظهروا جرأة كبيرة وفعلوا مافعلوا، وما وقع هذا في عسكر الإسلام إلا الأهمال الضبط والسياسة والتقصير في أداء وظائفهم وذخائرهم، ولعمرى أن أكثر ما وقع من الاختلال ما وقع (١) لا بسبب الطمع في المال، من غير تمييز الحلال والحرام، نبه الله قلوب الأمراء والوزراء عن هذه الأحوال أنه القادر الكبير المتعالى.

ثم السبب عدم ترقب الفرصة ثم الغرور واستصغار العدو فلابد من التوبة والرجوع إلى الله المتعالى عن موجبات الضلال[٢] والتوقى عن الأهمال في تدبير المال. اللهم يامحول الأحوال حول حالنا إلى أحسن الحال. الخاتمة في الصلح والعهد.

قال تعالى (الصلح خير[٣])، قيل: الحرب صعبة والصلح أمن ومسرة. كيخسرو: أعظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح. أردشير بابك: لا أستعمل السيف لمن عصى حيثما يكفى العصا وما أتصدى للعدو بالصول والنصل إذا كان يؤثر فيه قول الفصل. قيل: الصلح بقاء الآجال وحرم الأموال. قال الله تعالى (أن العهد كان مسئولا(٤))، وفى الحديث: خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ماأنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهر فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت وما طفقوا الكيال الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر. وهذا آخر الكتاب والله أعلم بالصواب وفى هذا القدر لمن تأمل كفاية والكلام ليس له نهاية.

---

(١) سقطت من نسخة [ب]
(٢) فى نسخة [ب] ... عن موجبات الغفلة والضلال.
(٣) سورة النساء اية : ١٢٨
(٤) سورة الاسراء اية : ٣٤

ياعالما بجميع الحال فى الطلب   نرجو النجاة من الاحزان والكرب
اعط الخلاص من الأوزار قاطبة   وأرحم عبيدك خلصنا من التعب

ربنا أغفر لنا ذنوبنا وأسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين(١) . اللهم أنصر جيوش المسلمين وانصر عساكر الموحدين واكتب السلامة على الحجاج [والغزاة والمجاهدين(٢)] وصل على رسولك محمد وآله وصحبه أجمعين . (والحمد لله رب العالمين(٣)) .

[وقد وقع الجمع والاتمام بعون الله الملك العلام فى ذى الحجة الحرام لسنة أربع والف من هجره النبي عليه السلام(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران ، اية : ١٤٧
(٢) سقطت من نسخة [ا]
(٣) سورة الفاتحه ، اية : ٢ .
(٤) وقد جاءت فى ختام الترجمة التركية الموجودة على هامش المتن العربى فى نسخة . به.

نقد الكتب